

الرسالة

بجهد الأستاذ محمد عبد القادر العلي والفتوى

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشؤل
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشوارع السلطان حسين

رقم ٨١ - مابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

برل لايشترك عن ستة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن هذا الممدد ٢٠ ملها

الاعتمادات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩١٦ « القاهرة في يوم الاثنين ١٣ ربيع الآخر سنة ١٣٧٠ - ٢٢ يناير سنة ١٩٥١ - السنة التاسعة عشرة »

الدين والسلوك الإنساني

للأستاذ عمر حليق

- ١ -

تولمة :

يواجه الدين في العالم المعاصر موجتين من التحدي : إحداهما الحادية لا ترى في الدين إلا « تخلصاً من الواقع » ولجوءاً إلى التخديرات الروحية التي أبرز ما فيها أنها توجه السلوك الإنساني توجيهاً سليماً إزاء مشاكل الحياة، ومن ثم إزاء عناصر التقدم والتمدن البشرية. « ١٥ » هذه الموجة هي محور الهجوم الماركسي على الحياة الدينية

والموجة الأخرى لا تمت إلى الفلسفة الماركسية إلا بصلة غير مباشرة ولكنها تماثلها في الابتعاد عن الحقيقة الدينية. أعنى بها موحدة التحلل من القيم الدينية التي ابتدأت في أوروبا الغربية في القرن الماضي والتي تزعمها الآن الحضارة الأمريكية وتنقلها إلى سائر بقاع الأرض مواصلات فكرية أتقن الأمريكيون وسائلها

« ١٥ » - راجع بوخارين الكاب السوفيتي في كتابه

Marxism and Modern thought

إتقانا بارعا في الأفلام السينمائية والصور الفوتوغرافية والصحافة ومؤسسات الإعلان والدعاية والقصص الحديثة، وألف نوع ونوع من وسائل الاتصال الفكري الذي يهيمن الآن على القسم الأعظم من صحافة العالم وإنتاجه الأدبي والفني

ووجه الخطورة في الموجة الثانية أنها في حل من أن تنهم بالدعوة إلى التفسير المادي للتاريخ على النحو الذي يذهب إليه الشيوعيون. ولكنها في الواقع تفعل ذلك، وفوقه عنصر من أخطر العناصر في السلوك الإنساني وهو تركيز النشاط الفكري والنفساني في حربة التريزة والماطفة والاهواء ومن أوجه الخطورة كذلك في هذه الموجة التي تزعمها الحضارة الأمريكية المعاصرة إحاطتها بهالة من التقدير والإعجاب بدعوى أنها من الشواهد الأصلية على التقدم الحضري وتوجيه السلوك الإنساني نحو قسط وافر من السعادة والهناء

غربة التريزة وانطلاق الشهوات والاهواء التي تمخضت عنها حضارة فرنسا اللاتينية في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحاضر والتي تحمل الآن لواء الدعوة للحضارة الأنجلوسكسونية، هذه الحرية أصبحت الآن جزءاً جوهرياً من مبادئ التحرر السياسي والفكري الذي هو بحق أفضل ما في الحضارة الغربية من تراث

العربية . ٢

ونحيل إلى أن الذين يوجهون الثقافة العربية الآن لم يفتنوا بعد فطنة جديدة إلى إصلاح الألو ب الذي أخذته بناء الثقافة الجديدة في الباكستان مثلاً، والباكستان مثل فريد

قادة الفكر في الباكستان جماعة استوعبوا استيعاباً غير قليل العناصر الجهورية التي تكون حضارات أوروبا وأمريكا، فالتبانوا في نباهة وحكمة عناصر القوة والضمف فيها فتتج عن ذلك هذه النهضة الفكرية والأسس الإيديولوجية التي لم يتأثر بها بعد - مع الأسف الشديد - قادة الفكر في الشرق العربي .

فالإيديولوجية في الباكستان ليست « رجعية » تعيش في جو من القرون الوسطى كما يصممها بذلك بعض المفرضين من أعداء الشرق وبعض أبنائه . وإنما هي أسلوب في الحياة والفكر استوحى التوجيه من تراث الإسلام ومبادئه وعن روح الشرق ونظمه الاجتماعية والتأسل فيه من الاتجاهات العاطفية والتكوين النفسى . فحين

تبين لمحمد إقبال وغيره من جهابذة الفكر من القارة الهندية أن الإسلام كمذهب وكنظام للحياة الدنيوية يرى من هذا الجمود وهذه التفجيرات العاطلة وهذا السلوك الشائن الذى كاد يودى بالمسلمين إلى الذلة والأخطاط ويقفاهم إلى الانحلال والموت - حين تبين لمسلمى الهند والباكستان ذلك لم يقفوا عند حد الوعظ

والإرشاد والتفخ في أبواب لا تؤثر دعوتها في صميم النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإحياء الفكرى والعمل ، وإنما استماروا من الغرب مناهجه في البحث والتوجيه واقتبأوا عنه أساليب العمل والإنتاج وصاغوا تماثيل الدين الإسلامى في قالب لا يحميد عن جوهر العقيدة المحمدية، وإنما يتميز بأنه لا يختلف عن القوالب

التي ولدت حضارات مصور النهضة من إيطاليا وفرنسا والبلاد الأنجلوسكسونية . وتبين لمسلمى الهند والباكستان كذلك بأن إنتاج الفكر الأوروبى في الحياة الدستورية وفي التنظيم الاقتصادى وفي التكافل الاجتماعى لا يمكن أن يكون مناقضاً للنظم التي شرعها الإسلام، وإنما هو في الواقع متمم له . وجاء ميلاد الدولة الباكستانية فدمج الفكر بالعمل وحقق الأسس المجرية

(٢) - راجع مثلاً لكاتب هذه السطور « دفاع عن الثقافة العربية »

في أعداد الرسالة ١٩٧-١٩٨-١٩٩ (شهر سبتمبر ١٩٦٠)

فالتحرر (ليبيرالزم) في ثقافة الغرب المعاصرة عامة والأنجلوسكسونية منها على وجه الخصوص علم على الإصلاح في مجالات الاقتصاد والسياسة والعلاقات الاجتماعية والانطلاق الفكرى . وهذا يشمل الدين والحياة الروحية والنفسية، واتجاهات الثقافة الأنجلوسكسونية في هذه الآونة تقف موقف التحدى لجوهر العناصر التي تضمن التكافل الاجتماعى . فالصراع الفكرى في أوروبا وأمريكا الآن يكاد ينحصر في توجيه السلوك الإنسانى لا على أساس العقل كما شرحه فلاسفة القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر ولكن على أساس الفريضة والانطلاق النفسانى (الفيزيولوجى والسيكولوجى) كما بشر به (زيجموند فرويد) وأتباعه من علماء التحليل النفسانى والمدارس الفكرية والأدبية والفنية الجديدة التي تأثرت به وتفرعت منه، وكما يدعو إليه «هوايود» وكتاب القصة الحديثة وبعض أئمة الفن في أوروبا وأمريكا

فإذا حق لحضارة الغرب أن تتفخر بأنها خلال القرون الأخيرة الماضية قد أسدت إلى تراث الفكر وانطلاقه من قيود الجمود والبلادة العقلية، فإن هذه التل الآن تواجه حملة عاصفة تدفع بالسلوك الإنسانى نحو فلسفة بدائية في جوهرها ومضمونها تعجد الفريضة النظرية وتناقض العقل وهدووه وحكمته فتتموى بذلك الجماعات التي تعيش على الصحف السيارة ووسائل التسلية الرخيصة واللهم والتمعة ممثلة في الأفلام والنقص الحديثة . وهذه الألوان من القنون والآداب التي تجذب سبيلها إلى صميم دور العلم ومماقله الراقية في كثير من بقاع الأرض منها العالم العربى؛ وذلك لأن هذه الديكتاتورية الفكرية التي تفرضها الحضارات الأخرى لا تقتصر على أنصاف المتعلمين، بل إن سلطانها يمتد فيؤثر تأثيراً فعالاً في الاتجاهات العكرية والمطافية لكثير من المثقفين الممتازين الذين يخلفون حضارات جديدة كما هو الحال في حاضر الثقافة العربية وأحب ألا يساء الفهم في هذا الصدد . فالتماون الفكرى أمر لا مفر منه، بل هو في الواقع من الدعائم الجهورية لبناء الحضارات الحديثة أو إحيائها والنهوض بها . ولكن المشكلة ليست في مبدأ التماون الفكرى ولكنها في تفهم العناصر الجهورية في الحضارات التي تفرض نفسها - خيراً أم شراً - على حاضر الثقافة

إليها المستغفون من المذنبين العرب ليستمدوا منها الوحي والإلهام
والخبرة لناواة هذا الإحياء الروحي الذي نشط له رجال الدين في
مصر والشرق العربي

قلت إن أهل الفكر في أوروبا وأمريكا يشغلون الآن بهذا
النزاع الحاد بين العقل والروح من جهة ؛ والانطلاق التريزي
البدائي من جهة أخرى وعلاقة السلوك الديني بهما

فبعض أتباع فرويد في إنتاجهم الفني الملمى يرون في السلوك
الديني شاهداً ودليلاً على الجهل والخوف والتفكك النفساني، وعلا
على الجود الفكري والشخصية الضعيفة المطلوبة التي لا تستطيع
ولا تود مواجهة الواقع

ثم هناك ويليام جيمس البروتستانتي وغيره من فلاسفة
الكنيسة الكاثوليكية الذين يقولون بأن السلوك الديني القويم ليس
رمزاً لهذه المقد النفسية؛ وذلك لأن في الفرد غريزة دينية متأصلة
تشوب سلوكه دون أن يكون عرضة لكل هذه المقد أو لبعضها.
وأن النفس المطمئنة والشخصية الكاملة الناجحة (بمعناها
السيكولوجي) لم يتوفر لها هذه الطمأنينة وهذا الكمال إلا لأنها
لمست مبلغ القوة في غريزتها الدينية فهذبها بالتروى والتبصر،
وأتمها سليمة مستقرة آمنة لا تزعزعها هذه المشاكل الدينية
النفسية التي لا تخلو منها مجتمع ما بدائياً كان أم حضرياً. وتقول
مدرسة ويليام جيمس (٧) - ولها أتباع من أئمة علماء النفس
المعاصرين - (٨) إن الخوف والبلبل النفسانية ومشكلة السلوك
السيكوباتي ليست إلا وليدة إنكار الفرد على غريزته الدينية حقها
ووظيفتها وتجاهله لأهميتها والدور الذي تلمبه في السلوك الإنساني
وتفوره من إعائها ورطابيتها خالصة مطهرة

ولنقف هنيهة هنا ولنحاول في أعداد الرسالة القادمة إن شاء
الله أن ندرس مسألة الدين والسلوك الإنساني على أضواء هذا
النزاع لمننا بذلك نأمل في تفهم هذه المشكلة الاجتماعية التي أخذت
حدثها تتخذ طورا مخيفاً في حاضر الأمة العربية

للإيديولوجية الإسلامية الحديثة على نحو آثار إيجاب المارفين به (٣)
وليس من أهداف كاتب هذه السطور أن يستعرض هنا
أسس الإيديولوجية الإسلامية في الباكستان وإنما استشهد بها في
معرض الحديث عن البلبل التي تدمر الحضارة الإنسانية وأزمها
إزاء صراع العقل والروح من جهة، والغريزة البدائية من جهة
أخرى، هذا الصراع الذي أوجد تشويشا فكريا واجتماعيا في
كثير من بقاع الأرض منها عالم العرب

ولنمد إلى قضية الدين والسلوك الإنساني لتقرر حتما
في السهل أن هذا الصراع الفكري يشغل الآن أذهان المثقفين
في الغرب وفي أمريكا على وجه الخصوص

فقد نشأ العالم الجديد أول ما نشأ على مذهب التحرر من
القيود الثقيلة التي فرضت على العقيدة والسلوك الديني في أوروبا.
فحطت سفينة (مايفلور) في القرن السادس عشر هؤلاء
المضطهدين من القارة الأوربية إلى أرض كولومبوس لتدفع
عنهم شر هذه القيود. فأسس الحضارة الأمريكية إذن أسس
روحية للدين فيها شأن كبير لا تزال عناصره الأصلية تناضل موجات
الإحاد والانطلاق التريزي الذي ولده نشوء النظم الاقتصادية
الحديثة في أمريكا على النحو الذي شرحه في عمق وبلاغة الكاتب
الألماني الكبير (ماكس وبجر) (٤). ركنك تسرب الإيديولوجية
اليهودية وتركزها في صميم الحضارة الأمريكية وعينها فيه
فسادا (٥)

وحري بالدين استغفوا واستهجنوا دفاع رجال الأزهر
الشريف وعلمائه ورجال الدين المسيحيين في مصر عن الفضيلة
والقيم الدينية في حملهم الأخيرة (٦) بأن مثل هذا الدفاع هو من
أهم ما يشغل العلماء وقادة الفكر في مآقل الثقافة الثرية التي يتطلع

٣ - راجع التقرير السنوي لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية لآسيا والشرق
الأقصى (القم الخامس بالباكستان

The united Nations Economic Survey for Asia & the far East
164.8 1949
Max Weber, The protestant Ethics and the Rise of Capitalism
De Toeuville, American Democracy.

(٥) راجع

The Jews in American Civilization A Symposium

٦ - راجع عدد جريدة المصري في ١٢-٦-١٩٥٠

٣٦٠٨